قَرْعُ باب الكريم المنّان بالدّعاء وحُسن الرّجاء في العشر الأواخر من رمضان

2024-03-29

الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مَوْسِماً لِلطَّاعَاتِ، وَاصْطَفَى الْعَشْرَ الأواخِرِ مِنْهُ لِلتَّنَافُسِ فِي الصَّالِحَاتِ، فسبحانه من إله أمر بالدعاء، ووعد عليه الإجابة، وحثّ على أفعال الخير كلها، وجعل جزاءها القَبول والإثابة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أَنْعَمَ بِلا سُؤَالٍ، وَأَوْسَعَ فِي العَطَاءِ وَالنَّوَالِ، وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، مَيَّزَ بَعْضَ الأَيَّامِ علَى بَعْضٍ بِما اختَصَّهَا مِنَ الفَضَائِلِ، وأَنَارَ بَعْضَ اللَّيالِي بِما أَودَعَ فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الشَّمَائِلِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وصَفيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، قَامَ حَقَّ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَنَصَحَ فَأَخْلَصَ النُّصْحَ لأُمَّتِهِ، وكانَ يحتَفِي بهذه الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ أيَّ احتفاء، ويضاعِفُ فيهَا العبادةَ والجودَ والعطاءَ،

محمّد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ برٌّ بأمّتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدِنا محمد. مَن كمُلت بذِكره الشهادة. وعلى آله ذوي المجد والسيادة. وصحابته أهل النُّسُك والعبادة. صلاة تمنحنا بها لطائف العلوم والإفادة. وتتوّجنا بها بتاج العزّ واليُمن والسعادة. وتحفظنا بها من الموانع القاطعة عن الوصول إليك في البدء والإعادة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. هذه أيام وليالي شهركم تتقلّص، شاهدة بما عملتم، وحافظة لِمَا أَوْدعتم، هي لأعمالكم خزائن محصَّنة، ومُستَوْدعات محفوظة، تدعون يوم القيامة: ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)). ينادي

ربكم: ((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ)). هذا هو شهركم، وهذه هي نهاياته، كم من مستقبِل له لم يستكمله. وكم من مؤمِّل يعود إليه لم يدركه. هلاّ تأمّلتم الأجلَ ومسيرَه، وهلاّ تبيّنتم خداع الأمل وغرورَه. أيّها المسلمون. إن كان في النفوس زاجر، وإن كان في القلوب واعظ، فقد بقيت من أيّامه بقيةٌ. وأيّ بقية، إنّها عشرُه الأخيرة. بقيّة كان يحتفي بها نبيّنا صلى الله عليه وسلم أيّما احتفاء. في العشرين قبلها كان يُخلطها بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر شمّر وجدّ وشدّ المئزر. هجر فراشه، أيقظ أهله، يطرق الباب على ابنته السيّدة فاطمة وزوجها سيّدنا علي رضي الله عنهما قائلاً: ((ألَا تَقومانِ فتُصَلِّيانِ؟)). يطرق الباب وهو يتلو: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ))، ويتّجه إلى حجرات نسائه آمرا: ((أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ)). أيّها المسلمون. هذه الليالي المبارَكات من رمضان، يَصدُق عليها أنْ تُسمَّى ليالي الرجاء؛ لِمَا يَرجُوه العِباد من المغفرة والرحمة والعتق من النار، ولِمَا يَرجُونه من إدراك ليلة القدر وقيامها إيماناً واحتِساباً، فيكون قيام ليلة خيراً من قيام ألف شهر. إنَّه الرجاء في موعود الله تعالى الذي تنزَّل به القرآن الكريم، وفصَّله نبيّنا صلَّى الله عليه وسلَّم في أحاديث عِدَّة عن العشر المباركة وعن ليلة القدر. إنَّنا نرجو من ربِّنا سبحانه أنْ يمنَحَنا بركة هذه الليالي المباركة، بركة صيام نهارها، وبركة قِيامها، لأنَّ نبيَّنا صلَّى الله عليه وسلَّم قد أخبَرَنا أنَّ لله تعالى عتقاء من النار في كلِّ ليلةٍ من رمضان، فكيف بعشره الفاضلة؟ وَعْدٌ بأجورٍ عظيمة، لا تَخطُر على بالٍ في ليالٍ معدودة، فلا يرجوها إلا مؤمن، ولا يُحرَم منها إلا خاسر. أيّها المسلمون. إنَّ الرجاء كلمةٌ تأخُذ بشِغاف القلوب، وتستَولِي على النُّفوس، فالرجاء هو الإستِبشار بجُود الله سبحانه. والإرتياح لِمُطالَعة كرمه عزَّ وجلَّ، إنَّه الثقة بمَوْعُود الله تعالى. ولا رجاء إلا بعملٍ صالح، وأمَّا

الرجاء مع الكسل عن الطاعات والإسراف في المحرّمات، فهو التمنِّي والغرور، ويوم القيامة يُقال لأصحابه: ((وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ). قال التابعي الجليل سعيد بن جُبَيْر رحمه الله تعالى: (هو أنْ يعمل المرء المعصية ويتمنَّى المغفرة). فاعملوا رحمني الله وإيّاكم صالحاً، وأنتم ترجون الله عز وجل أن يتقبّل منكم، وألحّوا عليه في الدعاء. وأنتم ترجونه سبحانه أن يستجيب لكم، وتوبوا إليه. وأنتم ترجونه أن يقبل توبتكم. قال سبحانه: ((أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ)). أيّها المسلمون. ونحن نستقبل أفضل الليالي من رمضان، ليالِ العشر الأخيرة، التي تَعْظُم فيها الهبات، وتَنزل الرحمات، وتُقال العثرات، وتُرفع الدرجات، فهل يُعقل أن تُقضى تلك الليالي في مجالس الجهل واللهو. والزور واللغو، وربُ العالمين ينزل فيها ليَقضي الحوائج، يطّلع على المصلّين في محاريبهم، قانتين خاشعين، مستغفرين سائلين، داعين مخلصين، يُلحُّون في المسألة، ويردّدون دعاءَهم: ربّنا ربّنا. ((رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). نعم. هذا زمن الربح، وفي تلك الليالي تُقضى الحوائج، فعلِّقوا رحمكم الله حوائجكم بالله العظيم، فالدعاء من أجلِّ العبادات وأشرفها، واللهُ لا يخيّب مَن دعاه: ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))، (((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفَاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ)). وآيات الصيام جاء عقبها ذِكرُ الدعاء: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)). يقول بعض المفسّرين: (وفي هذه الآية إيماءٌ إلى أنّ الصائم مرجوّ الإجابة، وإلى أنّ شهر رمضان مرجوّة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان). أيّها المسلمون. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الذي أخرجه الترمذي وحسنه: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

مِنْ الدُّعَاءِ)). بل إنّ الله تعالى يغضب إذا لم يُسأل؛ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه أحمد: ((مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)). ومهما سأل العبد فالله يعطيه أكثر، يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه أحمد: ((ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ. وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا. قَالُوا: إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ)). أَيْ أنّ اللَّه أَكْثَرُ إِجَابَة مِنْ دُعَائِكُمْ. أيّها المسلمون. إنّ أمّة الإسلام اليوم في كرب شديد، وضائقة عظيمة، وشدّة كبيرة، تمرّ بأصعب مراحلها. وأشق أيّامها، تكالبت عليها الأُمم، وتداعت عليها الدُّوَل، وتآمر عليها الأعداء من كل مكان، أجمعوا كَيْدهم وأَمْرهم عليها، إنّ الكرب في ازدياد، والخطر في اشتعال، والمكر في اجتهاد، وليس لها من دون الله كاشفة، وإنّ مِن أمضى الأسلحة، وأقوى أسباب الدفاع، وأحدّ سيوف الفتك: هو الدعاء، فليس لنا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، فيجب علينا كثرة الدعاء، واللجوء إلى الله تعالى مع البُعد عن موانع الإجابة. والمعاصي والمحرّمات، وَلْنَعلم أنّ الله تعالى مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، وإذا كان الله معنا فلو اجتمعت أُمم الأرض بأمضى أسلحتها، وأحدث آلاتها، فإنّ النصر حليفُنا، والتوفيق نصيبُنا، قال تعالى: ((إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ)). إنّ أمّتنا اليوم بحاجة شديدة إلى الدعاء. خاصة أهل بيت المقدس. وكذلك أولئك المستضعَفين المظلومين في مشارق الأرض ومغاربها. الذين تسلّط عليهم الأعداء والطغاة والجبابرة والمستكبرون، فساموهم سوء العذاب والنكال، وقتلوا رجالهم وشبابهم وأطفالهم ونساءهم. وهدموا مقدّساتهم ومساجدهم، فاللهَ اللهَ أن تُلحّوا بالدعاء، وتتحرّوا أوقات الإجابة بالدعاء لهم، والدعاء بنصرهم وتثبيتهم على عدوّهم، فشأن الدعاء عجيب وعظيم، وهذا أقلّ ما نقدّمه لإخواننا أن نواسيهم بدعائنا، ((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُون)). فاحرصوا رحمكم الله على الدعاء لأنفسكم وأولادكم. وأزواجكم ووالديكم. وإخوانكم ووطنكم. وولاّة أموركم وللمسلمين جميعاً، أحرصوا على اغتنام هذه العشر، بالطاعة والعبادة والأعمال الصالحة، وأروا الله تعالى من أنفسكم خيراً، فلربما جاهد العبدُ نفسه في هذه الأيام القلائل، فقبل الله تعالى منه، وكتب له سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وهي تمرُّ على المجتهدين واللاهين سواءً بسواء؛ لكن أعمالهم تختلف. كما أنّ المُدَوَّن في صحائفهم يختلف. فلا يغرنّكم الشيطان فتَضيع هذه الأيام كما ضاعت مثيلاتها من قبل. أيّها المسلمون. هذا بعض ما يقال في الدعاء، ونحن في أيام الدعاء، وإن كان الدعاء في كل وقت؛ لكنه في هذه الأيام العشر الأخيرة من رمضان أشد تأكيداً؛ لشرف الزمان، وكثرة القيام، فاتّقوا الله عباد الله. وادعُوا اللهَ مُوقِنِينَ، وَالْجَؤوا إلى الرَّحِيمِ مُستَسلِمِينَ، وَارغَبُوا إلى الكَرِيمِ مُخلِصِينَ، أُدعُوا دُعَاءَ المُضطَّرِّينَ، وَأَلِحُّوا إلحَاحَ المُحتَاجِينَ، فَوَاللهِ لا غِنى لَكُم عَن رَبِّكُم طَرفَةَ عَينٍ! ((أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشِفُ السُّوءَ وَيَجعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرضِ، أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)). اللهم إنّا نسألك في هذا اليوم المبارك أن لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرّجته، ولا دَيْناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ضالاًّ إلا هديته، ولا ميّتاً إلا رحمته، وَلاَ غَائِباً إِلاَّ حَفِظْتَهُ وَرَدَدْتَّهُ، وَلاَ عَدُوّاً إِلاَّ أَهْلَكْتَهُ، وَلاَ طَاغِيَةً إِلاَّ قَصَمْتَهُ، وَلاَ مَظْلُوماً إِلاَّ أَيَّدْتَهُ، وَلاَ ظَالِماً إِلاَّ خَذَلْتَهُ، وَلاَ عَسِيراً إِلاَّ يَسَّرْتَهُ، وَلاَ وَلَداً إِلاَّ أَصْلَحْتَهُ، ولا والداً إلا رحمته، وَلاَ عَيْباً إِلاَّ سَتَرْتَهُ، ولا أَيِّماً إلا زوّجته، ولا عقيماً إلا وذرية صالحة وهبته، وَلاَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ هِيَ لَكَ رِضاً وَلَنا فِيها صَلاَحٌ إِلاَّ أَعَنْتَنا عَلَى قَضَائِهَا وَيَسَّرْتَهَا لَنا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللهم أطفأ نار الفتن والمصائب والخلافات والمنازعات بين المسلمين. وأخرجهم من هذه المحن والنكبات، وألّف بين قلوبهموأصلح ذات بينهم، وردّنا وإيّاهم إليك ردّاً صحيحاً جميلاً. يا ذا الجلال والإكرام. اللهم آمنا في وطننا، وأجعله آمناً

مطمئناً سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين. اللهم كن لإخواننا المستضعفين ناصراً ومؤيِّداً، اللهم كن لهم في فلسطين وفي كل مكان، اللهم أصلح أحوالهم، وفرّج همّهم. ونفس كربهم، واحقن دمائهم، وحقّق آمالهم، وألّف بين قلوبهم، ولا تجعل لعدوّ ولا طاغية عليهم سبيلا. اللهم فرّج الهمّ عن المهمومين، ونفّس الكرب عن المكروبين، واقض الدَّيْن عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. إنك على كل شيء قدير. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ. بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ. أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ. يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء. وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا. وكُلِّ أَرزَاقِنَا. يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ